

العدل في تعاليم الرسول (ص)

Justice in the Teachings of the Prophet, (peace be upon him)

Dr. Mohamed Rafiq Hasani

Assistant Professor,
School of Arabic and Islamic Studies,
B.S. Abdur Rahman Crescent Institute of Science &
Technology, Chennai, India.

Email: rafiq@crecent.education

محمد رفيق

الأستاذ المساعد، كلية الدراسات العربية والإسلامية
جامعة هلال بي. إس. عبد الرحمن للعلوم والتكنولوجيا،
تشنئي، الهند

Dr. S. Abdus Samad Nadwi

Assistant Professor,
School of Arabic and Islamic Studies,
B.S. Abdur Rahman Crescent Institute of Science and
Technology, Chennai, India.

Email: samadnadwi@crecent.education

د. عبد الصمد الندوي

الأستاذ المساعد، كلية الدراسات العربية والإسلامية
جامعة هلال بي. إس. عبد الرحمن للعلوم والتكنولوجيا،
تشنئي، الهند

Abstract

The essence of life is grounded in justice, forming the foundation of both kingship and the ideal nation among humanity, one worthy of leadership among nations. In Islam, justice is a precise legal imperative with explicit principles, paving the way for a harmonious Muslim society that upholds respect for individuals, champions freedoms, and enforces the rule of law. This framework rejects extremism, terrorism, and societal decay.

Islam provides clear principles to establish a society governed by law, ensuring security and tranquillity while prohibiting doctrinal deviation, terrorism by entrusted individuals, property destruction, and infringement upon the rights guaranteed by Islam to both Muslims and non-Muslims.

The divine command extends beyond justice among humans alone; it is imperative that we do not overlook the rights of non-speaking animals and that we treat them with compassion. The Quran regards animals as a species akin to humans, as stated: "There is no creature on the earth nor bird that flies with its wings except communities like yourselves. We have neglected nothing in the Book; then to their Lord they shall be mustered."

Key words:

justice, rule of law, doctrinal deviation, rights of women, rights of labour, rights of animals, Muslims and non-Muslims, communities, property destruction

مقدمة

الحمد لله الذي وضع الميزان، والذي أنزل على عبده الفرقان، ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من النيران، وأرسل رسوله بالهدى والتبيان، وصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين. وبعد،

مفهوم العدل

العدل ضد الظلم، والظلم هو إيذاء نفسه أو الآخرين بالمعنى أو القول أو الفعل بغير حق.

صاحب العدل ينال محبة الجميع وحتى رضى الخالق. فيقول تعالى ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ . والعدل في الرعيّة ممّا يُوحّد الصفّ بين الحاكم والمحكوم لأنّه هو أساس الملك.

نجد في القرآن الكريم توجيهات من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: "فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ" .

يقول الإمام الشوكاني: "يبدو أن هذا التوجيه يشمل جميع جوانب الحياة. وقد نقل الطبري عن قتادة قوله: أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم بأن يقوم بالعدل، وقام بهذا التوجيه حتى وافته المنية..".

مجالات العدل

إن الله عدل و أرسل الأنبياء بين الناس ليحكموا بالعدل بينهم. وأجمعت الأمة الإسلامية بأن الصحابة كلهم عدول. بعد مضي زمان الصحابة والسلف الصالح تبدل الأرض غير الأرض والسموات، فخلف من بعدهم خلف أخذوا كراسي الحكومة بالجبر والجور، وتمكنوها بدون حقها، فبلغ الظلم ذروته، وأصبح العدل نسيا منسيا، وامتألت البلاد بالظلم، وانتشرت ظلماته في البيوت والشوارع والإدارات و الإعلام ، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، إلى أن قدر الراعي أن يظلم رعيته، والابن أبويه، أو الأبوان أولادهما، والزوجان فيما بينهما. وحتى القضاة في المحكمة القضائية أصبحوا ظلمة فجرة ، وعبيدا لولي الأمر صما وبكما وعميا. فتمس الحاجة إلى أن يعود العالم إلى السنة النبوية لحطم الظلم وإقامة العدل.

هناك مو اقع يجب أن يقام فيها العدل، كما نجد عليه تعليمات النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من نواحي الحياة

المختلفة، ومراحلها، منها :

- العدل في ذات نفسه
- العدل بين الأولاد
- العدل الأسري بين الأزواج
- العدل بين الأثرية والأقلية،

كما يتبين لنا من واقعة النعمان بن بشير رضي الله عنه أن أباه بشيراً قد أعطاه عطيةً وكانت العطية غلاماً، استفسرت أمُّ النعمان من أبيه لانيها قالت لا أرضى بهذه العطية حتى تُشهد عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب بشيرٌ إلى الرسول عليه السلام، فذكر له ما وقع، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم: هل أعطيت أولادك الآخرين مثل ما أعطيت النعمان؟ فقال: لا، عندئذ قال: "فأتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم، قال: فرجع فردَّ عطيته"

وفي رواية مسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم، فقال: "أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: "فلا تشهدني إذاً، فإني لا أشهد على جور"

وروى ابن أبي الدنيا بسنده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اعدلوا بين أولادكم في النحل، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللفظ".

قال يزيد بن معاوية: "أرسل أبي إلى الأحنف بن قيس. عندما وصل، سأله: 'يا أبا بكر، ما رأيك في الأولاد؟ أجابه: 'يا أمير المؤمنين، ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطيهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم، ويحبونك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً، فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك، ويكرهوا قريك، فقال له معاوية: والله أنت يا أحنف، حين دخلت كنت مليئاً بالغضب من يزيد. ولكن الآن وأنت تغادر، أنا مسرور بيزيد. ثم أرسل معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب."

"يذكر أن عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، اعتنق ابناً من أبنائه كان يحبه أشد الحب، قال: 'يا ولدي، والله إني أحبك، ولكن لا يمكنني أن أفضلك على إخوتك ولو بلقمة من الطعام."

ويبدو لنا صريحاً حكمة ما روى الحسن رضي الله عنه أنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه، في ناحية القوم، فمسح رأسه وأقعده على فخذه اليمنى، قال: فلبث قليلاً، فجاءت ابنة له حتى انتهت إليه، فمسح رأسها وأقعدها في الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فهلا على فخذك الأخرى"، فحملها على فخذه الأخرى، فقال صلى الله عليه وسلم: "الآن عدلت."

فالعدل بين الأولاد من أعلى أسباب التقوية على البر، وعلى العكس، فالتمييز بين الأولاد من أعظم أسباب العصيان والهجر والكراهية.

العدل على من جعل الله تحت أيدينا

قد أبطل النبي المرسل بالحق - صلى الله عليه وسلم - التفرقة بين الناس استناداً إلى الجنس، واللون، والنسب، والطبقة الاجتماعية العليا والسفلى، لأن المالك والمملوك، والحاكم والمحكوم والخادم والمخدوم سواء في نظر الإسلام.

كان من أهم وصايا النبي صلى الله عليه وسلم خطبته ألقاها في حجة الوداع، وهي تضمن رعاية الرجال والنساء، قال: واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً.

وكان آخر وصية أوصاها الحبيب صلى الله عليه وسلم حين فارق الدنيا ولحق بالرفيق الأعلى، أنه:

أخبر أنس رضي الله عنه: "كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَهُوَ يُعَزَّزُ بِنَفْسِهِ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ."

يزيد توضيحاً ما روي عن المعرور بن سُوَيْد، قال: لَقِيْتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّيْدَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غَلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأَمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكَلَّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ.

العدل بين المجتمع المختلفة منازل

إقامة العدل بين الأفراد والمجموعات والأمم ليست مسألة تُترك لمشينة الحكام أو الزعماء، بل تُعتبر من إحدى أقدس وأهم الواجبات في التشريع الإسلامي.

ولم نجد في تاريخ العالم نموذجاً ومثالا من السلاطين والملوك والرؤساء في تحقيق العدل مثل ما نجد من نموذج الرسول عليه ألف تحية وسلام. وقد روت عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأنُ المخزومية التي سرقت فقالوا من يَكَلِّمُ فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامةُ بنُ زيدٍ جِبُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فكلَّمته أسامةُ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أتشفعُ في حدٍّ من حدودِ الله. ثم قام فخطب، فقال: إنما هلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ، وأيمُّ الله لو أن فاطمة بنتَ محمدٍ سرقت لقطعْتُ يدها.

خطبة أبي بكر رضي الله عنه حينما تولى الخلافة، توضح هدف الحاكم ومرامه بالولاية. وهو يبين بلسانه البلغ قائلاً: "أما بعد أيها الناس فإنني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى أخذ الحق منه إن شاء الله."

يشهد لنا مواقف محاكم اليوم في الدول الإسلامية وغير الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، بأن تباين وتغاير قرار المحكمة لطائفة دون طائفة، وقبيلة دون قبيلة، لأديان دون أخرى، وخاصة الأوطان المشهورة بالعلمانية والاشتراكية يرجح فيها من جانب المحكمة صنف الأكثرية من الناس أو الطائفية، ويضيق الأقلية، ويسرح القوي ويعسر الضعيف. فأصبح القضاة ظلمة

فجرة ، ولن يتصور أحد إلى هذا الحد من الشدة في تنفيذ العدل لإعدام ظلمات الجور والجرائم أكثر مما عامل به النبي صلى الله عليه وسلّم، دون أية عناية بالنسب والحسب، والقريب والبعيد، والمسلم والكافر .

العدل بين الإنسان والحيوان

ليس الأمر الإلهي بالعدل بين الناس فحسب، بل من اللازم ألا نقصر في حقوق الحيوانات غير الناطقات، وأن نرفق بها. يعبر القرآن الحيوانات جنسا كجنس الإنسان، كقوله: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ".

حرض الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على إظهار العطف والحنان تجاه الهائم والطيور. ونهى عن القسوة تجاه الحيوان في مراحل شتى.

وقد روي عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه أنه قال: "مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: "اتقوا الله في هذه الهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة.

و قال صلى الله عليه وسلم أيضا "من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة"

الخاتمة :

العدالة تُعتبر أحد أركان الأمم المستدامة والمجتمعات الصحية. تحقيق العدالة يتطلب منا جميعًا التأمل العميق في تأثير قراراتنا وأفعالنا مع الآخرين والمجتمع ككل. دعونا نكون واثقين بأننا نساهم في بناء عالم أكثر عدالة وتكافؤًا، حيث يمكن للجميع الاستفادة من فرص متساوية للنمو والتقدم. العمل نحو تحقيق العدالة ليست مهمة سهلة، ولكنه أمر صعب واجب. نحن ملتزمون به من أجل ضمان مستقبل أفضل لجميع أفراد المجتمع. إذا استمرنا على هذا النهج معًا، سنكون قادرين على إحداث التغيير والتقدم نحو عالم يتسم بالعدالة والمساواة. "ما أجمل ما قاله ابن تيمية رحمه الله: إن الله ينصر الدولة العادلة، حتى لو كانت غير مؤمنة، ولا ينصر الدولة الظالمة، حتى وإن كانت مسلمة. من خلال العدالة، يتصوّل الناس، ويحفظ الثروات."

التوصيات:

من اللازم أن يوضح مفهوم العدالة في الإسلام توضيحًا واضحًا وكيف تتجلى هذه الفكرة في تعاليم القرآن الكريم وتعاليم النبي صلى الله عليه وسلم. .

مناقشة كيفية التعامل مع القضايا الاجتماعية مثل الفقر والجوع والعدالة الاجتماعية، وكيف دعا النبي (ص) إلى التعاون المتبادل والمساعدة.

توصيات للمجتمع الإسلامي: تقديم توصيات عملية حول كيفية تطبيق تعاليم النبي (ص) في حياة المسلمين اليومية لتعزيز العدالة في مجتمعاتهم.

تشجيع الدراسات والبحوث: تشجيع زيادة البحوث والدراسات في موضوع العدالة في تعاليم النبي لتعزيز الفهم والتطبيق الفعال.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري-الناشر دار ابن كثير، لبنان
٣. صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري- دار الكتاب العلمية_بيروت
٤. صحيح سنن النسائي لأحمد بن علي بن شعيب-مكتبة المعارف- سنة النشر ١٤١٩-١٩٩٩
٥. إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي-مكتبة الإيمان-سنة ١٩٠٠-
٦. سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن أشعث-المجلد الأول-
٧. مقالة " العدل بين الأمم في الإسلام " من مجلة الحضارة الإسلامية ٥٠ العدد: ٢٢ رجب ١٤٣٥ هـ/ماي ٢٠١٤ م